فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى ووجدك ضالا فهدى اجيب
بان المراد من الاية الاية وجدك ضالا عما انت عليه الان من الشريعة فهداك اليها بخلاف
الاية وما ينطق اي يتجاوز عن نطقه فهو في وقت من الاوقات لا في هذا الحال ولا في الاستقبال
نطقا ناشيا عن الهوى اي عن امره كما تكهن الذين يغلب كذبهم صدقهم والشعراء وغيرهم
وما يقول هذا القرآن من عند نفسه ان اي ما هو اي الذي يتكلم به من القرآن وكل
اقواله وافعاله واحواله الا وحي اي من الله تعالى واكده بقوله تعالى يوحى اي يجدد اليه
ايحاؤه متتابعا وقتا بعد وقت تنبيه استدل بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبياء
واجيب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا
لا نطقا عن الهوى علمه اي صاحبكم الوحي الذي اتاكم به ملك اشد القوى قال
بعضهم اي هذه البحار الزاخرة فان معلمه بهذه الصفة التي هو بها بحيث ينفذ كل
ما امره الله تعالى به وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ايدي الخلق وقد روي انه قلع
قرى قوم لوط ورفعها الى السماء قلبها وصاح صيحة سمعوا فاصبحوا جاثمين وكان
هبوطه على الانبياء وصعوده في اوقات من رحمة الطرف وذلك ابليس تكلم عيسى
على بعض عقبات الارض المقدسة فنفخه بجناحه فطيره فالقاه في اقصى جبل الهند
ذو مرة قال ابن عباس ذو منظر حسن وقال اكثر المفسرين ذو قوة وقدرة عظيمة
على الذهاب فيما امره والطاقة لحمله بغاية النشاط والحدة كانه ذو مزاج خلقت
عليه الحدة فهو صعب المراس في مزاولته ماض على طريقه واخذه على غاية من الشدة
لا يوصف الا بالقوة لا يوجد الى غير ما امر به فهو مجتمع القوى مستحكم الشان شديد
الشكيمة لا يسامه في شيء يزاوله ومن جملة ما اعطي من القوة القدرة على التشكل والى ذلك
اشار بما سيجيء عن هذا من قوله تعالى فاستوى اي فاستقام واعتدل بغاية من يكون
من قوته على تحمل حالاته في الصورة التي فطر عليها وهو اي الحال ان جبريل عليه
عليه السلام بالافق الاعلى اي عند مطلع الشمس وذلك ان جبريل عليه السلام كان
ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبياء عليهم السلام قبله
فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فاراه نفسه
مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض ففي الافق الاعلى والمراد بالاعلى
جانب المشرق وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يجيء وكان جبريل واعده ان ياتيه وهو بحراء
فطلع الجبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل
جبريل عليه السلام في صورة الادميين ثم دنى اي قرب فتدلى اي زاد في القرب
فكان منه قاب اي قدر قوسين او ادنى اي قرب من ذلك وهما في نفسه حتى
افاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه واما في السماء فعند سدرة المنتهى
ولم يره احد من الانبياء في صورة الحقيقة غير محمد صلى الله عليه وسلم تنبيه
القاب والقيد والقاد والقيد والقس المقدار وقد جاء القدر بالقيس والرمح والسوط والذراع
والباع والخطوة والشبر والقدر والاصبع ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث
لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات
يسيرة وقال الشاعر وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع وروى
الشيباني قال سالت زرا عن قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى قال اخبرنا عبد الله بن
ابي مسعود انه محمد صلى الله عليه وسلم راى جبريل له ستمائة جناح وهذا قال ابن عباس والحسن
وقتادة وقال اخرون ومعنى قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فكان قاب قوسين
اي قدر قوسين او ادنى ومعنى دنوه تعالى تقرب منزله لقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه
تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن مشى
اليه اتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازي وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر

ذراعين

ذراعين وهو قول سعيد بن جبير والقوس الذراع يقاس بها كل شيء او ادنى بل اقرب وانما ضرب
المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب فاوحى اي الله تعالى وانما لم يجر ذكره لعدم اللبس
الى عبده اي جبريل عليه السلام ما اوحى اي جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر
الموحى تفخيما لشانه وهذا التفسير ما جرى عليه الجلال المحلي وهو ظاهر وقيل فاوحى الى
جبريل وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بتشديد الواو كما في قوله تعالى هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بكليته الى جانب القدس
واختلف في الموحى على اقوال الاول قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما
الى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك الثاني اوحى اليه الصلاة الثالث ان الله تعالى لا يدخل
الجنة قبلك وان امة من الامم لا تدخلها قبل امتك الرابع انه منهم لا يطلع
عليه احد ويعبد ما به على الجملة الخامس ان ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل ما كذب
الفؤاد اي فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ما راى اي ما راه ببصره صورة جبريل عليه السلام
وهذا ايضا ما جرى عليه الجلال المحلي وقال البقاعي ما راى البصر اي حين رؤيته كان
حاضر القلب لا انها رؤية بصر فقط يمكن فيها الخلو عن حضور القلب وقال القشيري
ما راه ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما راه ببصره على الوصف الذي عليه قبل ان راه فكانت
على حق اليقين وقرا هشام بتشديد الذال والباقون بالتخفيف افتمارونه اي تجادلونه
وتغلبونه على ما يرى خطاب للمشركين المكذبين رؤية النبي لجبريل وهذا ما قاله ابن مسعود
وعائشة ومن قال ان الذي هو الله تعالى اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره
في فؤاده فراه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال فاراه بفؤاده مرتين ما كذب الفؤاد ما راى
وقال انس والحسن وعكرمة راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بعينه وروى عكرمة عن
ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم عليه السلام بالخلة واصطفى موسى عليه السلام
بالكلام واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية ولما كانت عائشة تقول لو مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الرؤية على رؤية جبريل قال من قال ذلك لعائشة ما اراه هل
راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه
يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك انه كتم
شيئا مما انزل الله تعالى فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية
ولكنه راى جبريل في صورته مرتين وروى ابو ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل رايت ربك قال نور اني اراه وحاصل المسئلة ان الصحيح ثبوت الرؤية
وهو ما جرى عليه ابن عباس خبر الامة وهو الذي يرجع اليه في المعضلات وقد اختصه ابو عمرو
فاخبره انه راه ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لانها لم تخبر انها سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لم ار وانما اعتمدته على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فان الادراك
هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية
بغير احاطة واجيب عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
بانه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية ويجوز وجود الرؤية من غير كلام وبانه عام
مخصوص بما تقدم من الادلة واما قوله صلى الله عليه وسلم نور اني اراه فقال الماوردي المفسر
نور اني اراه عائدا الى الله ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته اي رؤية احاطة كما قال تعالى
ان تكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك فان قيل
هلا قيل افتمارونه على ما راى بصفة الماضي لانهم انما جادلوه حين اسري به فقالوا صف لنا
بيت المقدس واخبرنا عن غيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به وما الحكمة في ايراده بصفة
المضارع اجيب بان التقدير افتمارونه على ما يرى فكيف وقد راه في السماء فاذا تقولون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)